ستحلُّ به المصيبة

قال أحد الرجال وهو قادمٌ إلى سيدنا موسى عليه السلام:

ـ أرجوك يا موسى؛ أنْ تدعوَ الله لي أنْ يجعلَني أفهم لغةَ الحيوانات، إذا حدث هذا فسأتعلَّمُ منها كثيراً وسأصبح رجلاً صالحاً.

دُهش سيدنا موسى وتعجَّبَ لطلب الرجلِ وقال له:

ـ أيها الرجل؛ اذهبْ واهتمَّ بعملك، إنَّ الله خلقَكَ على هذه الحال لأنَّ هذا هو الأفضل لك، ولا تطلبْ من الله شيئاً لن تستطيعَ أنْ تتحمَّله.

ولكنَّ الرجل لم يستمعْ إلى نصيحة سيدنا موسى، وقال:

ـ أرجوك يا موسى؛ ادعُ الله لي أنْ أفهمَ على الأقل ما يتكلَّمُ به الديك والكلب اللذان أملكُهما!

وتحت إصراره الشديد دعا موسى عليه السلام الله تعالى أنْ يعطي السائل ما يريد.

غادر الرجل مجلسَ سيدنا موسى وهو سعيد، وعاد إلى بيته، وفي الصباح التالي، وبينما كان الخادم يجهز طعامَ الإفطار لسيدِهِ وقعتْ قطعةٌ على الأرض، فأسرع الديك والتقطَهَا فنَهَرَهُ الكلب قائلاً:

ـ هل يليق بك أنْ تفعل ذلك، تستطيع أنتَ أنْ تأكلَ القمح والشعير، ولكنْ أنا لا أستطيع أنْ آكل سوى الخبز.

ـ أنت على حقٍّ، ولكنْ لا تقلق، غداً سيموت حمارُ سيدنا، وستملأ بطنَك طعاماً.

عند سماع الرجل لهذا الكلام.. أخذ الرجل حمارَه إلى السوق وباعه.

وفي اليوم التالي اقترب الرجل من الكلب والديك للاستماعِ إلى كلامِهِمَا، فوجد الكلب يعاتب الديك ويؤنِّبُه:

ـ ألمْ تقلْ لي البارحة أنَّ حمارَ سيدنا سيموت، ولكنْ لم يحدثْ شيءٌ من ذلك.

ـ لقد مات الحمار ولكن في مكانٍ آخر، ولكن لا تقلق؛ في الغد سيموتُ حصانُ سيدنا، وسيكون الطعام كثيراً، فلا داعي للقلق.

أسرع الرجل واقتادَ الحصان إلى السوق وباعه ثم عاد إلى البيت وهو يشعر بأنه محظوظٌ لأنَّه نجا من خسارةٍ كبيرة!

وكعادته كلَّ يوم جلس في مكان يستطيع أنْ يستمع فيه إلى كلام الديك والكلب، فوجد الكلب غاضباً وهو يكلِّم الديك ويتَّهمه بالكذب، فردَّ عليه الديك:

ـ أنا لم أكذبْ عليك ولكنَّ الحصان مات في مكانٍ بعيد، ولكن لا تقلق؛ غداً سيموت خادمُ سيدنا، وعندها سيكون الطعام كثيراً، وسيكون هناك حلوى أيضاً، وسنشبع كلُّنا.

لم يتردَّد الرجل لحظةً واحدةً، واقتاد خادمَه إلى السوق وباعه وعاد إلى البيت.

في اليوم التالي بينما كان يحاول الاقترابَ من الديك والكلب، سمع صوتَ الكلب وهو يؤنِّبُ الديك ويوبِّخُه وكان غاضباً جداً، ويتَّهمه بأنَّه منذ أيام وهو يكذب عليه، وهو لسذاجتِهِ يصدِّقُهُ، ولكنَّه إلى الآن لَمْ يدخل شيءٌ إلى معدتِهِ، فردَّ عليه الديك:

ـ أنا لستُ كاذباً، وأنا لم أكذبْ في حياتي، هذه المرة أيضاً مات الخادم ولكن ليس في هذا البيت.

وأطرق الديك بُرْهةً قصيرة ثم تابع قائلاً:

ـ كان هناك بلاءٌ سيحلُّ على هذا البيت، وسيقعُ على الحمار، ولكنَّ سيدي باعه، ثم كان سيقعُ على الحصان، ولكنَّ سيدي باعه، ثم كان سيقع على الخادم، ولكنَّ سيدي أسرع وباعه، لم يبقَ الآن في البيتِ إلا سيدي؛ لذلك لنْ ينجوَ سيدُنا هذه المرة، سيموت في الغد، ومن المؤكد سنملأُ بطونَنا هذه المرة.

انهارَ الرجل عند سماعِ هذا الكلام، وشعر أنَّ الدنيا تدور من حوله، وأدركَ الآن أنَّه لن يستطيعَ أنْ يفعلَ شيئاً هذه المرة.

في داخلِ كلِّ مصيبةٍ تحدث للإنسان يكون فيها خيرٌ له، وإنَّ كثيراً من المصائب التي تحدث للإنسان تكون لدفْعِ مصيبةٍ أكبر.

من الممكن أنْ نرى الخيرَ شراً، وأنْ نرى الشرَّ خيراً، لأنَّنا لا يمكننا في كلِّ مرةٍ بعقلِنَا المحدود، وإدراكِنَا

القاصر أنْ نفهمَ الحكمةَ من كلِّ الأحداثِ التي تحدث لنا.

ولا ننسى أنَّه في كلِّ زمانٍ أن الصدقة دافعةٌ للبلاء، وكلُّ نعمةٍ أعطاها الله لنا تجب عليها الصدقة؛ كالعلم، والمال، والصحة، والقوة، والوقت.